# استشراف المستقبل والتعليم

# "حوار مع صديقي"

## إعداد


| د/ محمـــود مصطفـــى أحمـــد أحمـــد | د/ أحمد عبد الفتاح حمدي الهنداوي |
| --- | --- |
| أستاذ الإدارة والتخطيط والدراسات المقارنة المساعد<br>كلية التربية بالقاهرة – جامعة الازهر | أستاذ الإدارة والتخطيط والدراسات المقارنة المساعد<br>كلية التربية بالقاهرة – جامعة الازهر |

# استشراف المستقبل والتعليم "حوار مع صديقي"

صديقي العزيز؛ تؤرقني أسئلة عديدة حول مستقبل نظمنا التعليمية، كيف ستكون؟، وما أهم متغيراتها؟، وكيف سنواجه هذا المستقبل ونوجهه؟، وما هي المخاطر التي يمكن أن تتعرض لها؟، كذلك أيضا لماذا تنجح دول أو مجتمعات أو مؤسسات في التعامل مع معطيات المستقبل وتفشل أخري؟، ولماذا تصعد دول من القاع للقمة وتنحدر أخري؟، ويلح على عقلي تساؤل آخر؛ ما حدود قدرتنا على استشراف المستقبل وتحديد مساراته المحتملة؟

التفت إليّ صديقي الحبيب وقال؛ لابد وأن تؤرق هذه الأسئلة، ليس فقط المختصين بشئون التعليم فحسب، بل المجتمع كله أفراداً ومؤسسات، فمستقبل المجتمعات مرهون بقدرات تعليمها وتطور نظمه، وهذا يتوقف على عوامل متعددة، ومنها بلا شك استشراف المستقبل والاستعداد له، بل وتشكيل صورته على النحو المرغوب.

فالحياة زمن وحدث؛ زمن يتميز باندفاعه الدائم نحو المستقبل مع ارتباط بالماضي والحاضر، وحدث يتشكل بقوى الإنسان فردا كان أو جماعة، وتختلف قدراتنا على التغيير أو التحكم في الأحداث بين استحالة تغيير الماضي، ونسبية التدخل في مسار الحاضر، وإمكانية تشكيل المستقبل.

قلت وهل كانت الحضارات في العصور السابقة تهتم بدراسة المستقبل واستشرافه، ولماذا زاد الاهتمام بذلك في القرنين الماضي والحالي يا صديقي؟

صديقي الحبيب؛ ظل التكهن بالمستقبل الشغل الشاغل للبشر منذ وجودهم على الأرض، واختلفت أدوات الحضارات وقدراتها في ذلك؛ فمن تقديم القرابين للطبيعة لتجنب شرورها واجتذاب خيرها، واللجوء للكهان والعرافين لاتخاذ القرارات المصيرية كما كان يفعل اليونانيين القدماء في معبد دلفي، فضلا عن الاهتمام بعلم التنجيم، وقراءة الكف ، وتفسير الأحلام، بل وحتى استحضار الأرواح أملا في التنبؤ بالأحداث والمصير، ثم اليوتوبيات المتعددة التى تصورها الفلاسفة والحكماء حول عالم فاضل تسوده العقلانية والعدل كمدينة أفلاطون الفاضلة، ومدينة الله كما تصورها أوغسطين، وأطلنطيا فرانسيس بيكون، وشيوعية ماركس الخالية من الطبقات وصراعها، وصولا الى حلم حكومة عالمية واحدة للعالم كله والتي العولمة والتكنولوجيا الحديثة دفعا إليها.

ولكن يا صديقي الحبيب؛ يكمن الفرق الجوهري بين العصر الحديث وما سبقه من عصور في تغير طبيعة النظرة للمستقبل، حيث انتقلت النظرة إليه كقدر محتوم، نجهل بشكل كامل صورته ولا يمكن تغييره، إلى منظور ينطلق من مبدأ الإمكانية وقدرة الحياة على التجدّد، وترى في المستقبل بعدًا زمنيًا يمكن التنبؤ باحتمالاته المختلفة والتدخل في تغيير وتشكيل صورته.

إذن يا صديقي العزيز؛ هل نستطيع القول بأنه أمام كل فرد أو جماعة أو مؤسسة أو مجتمع بأسره احتمالات متعددة للمستقبل؟ وعليه أن يحاول الكشف عنها وتحديد مساراتها، وتقدير معالمها وقواها المؤثرة، و اختيار الصورة المناسبة والعمل على تحقيقها.

بالطبع يا صديقي الحبيب، ومن هنا زاد الاهتمام بالاستشراف المستقبلي والذي أصبح علما له أسسه، ومبادئه ومناهجه، وأدواته، وأساليبه، ونماذجه، ومهاراته، ومتخصصين، وعرف بعلم المستقبل Futurology أو الدراسات المستقبليةFuture Studies .

أثرت اشتياقي يا صديقي العزيز لمعرفة تفاصيل أكثر حول علم المستقبل، ما هو؟ وهل هو ترف أم ضرورة مُلحة؟ وكيف يمكن استشراف المستقبل؟، ومن الذي يقوم بذلك؟، وماذا بعد استشراف المستقبل؟

## ▪ ما هو استشراف المستقبل؟

استشراف المستقبل يعني النظر إليه، والتطلع لما يحمله، ودراسة احتمالاته، والاستعداد لمتغيراته والمستقبل مستقبلات، أو لنقل مستقبلات عديدة ممكنة؛ ولذلك فإن استشراف المستقبل هو بالأساس استكشاف لماهية هذه المستقبلات الممكنة، وهو علم يختص ب "المحتمل " و "الممكن" و "المفضل" من المستقبل. فهو اجتهاد علمي منظم يرمي إلى صياغة مجموعة من المسارات والتنبؤات المشروطة لأوضاع مجتمع ما أو مجتمعات أو العالم كله عبر فترة زمنية محددة، وتنطلق من افتراضات الماضي والحاضر لاستكشاف أثر دخول عناصر مستقبلية على المجتمع أو المجتمعات، وعلى هذا الأساس تتباين الدراسة المستقبلية عن الدراسة الاستراتيجية، فالثانية تقوم على هدف يكون قد حدد سلفا ثم البحث عن أدوات تحقيق هذا الهدف، بينما الدراسة المستقبلية تسعى لاستعراض الاحتمالات المختلفة للظاهرة. فالدراسات المستقبلية تؤمن بمستقبلات متعددة بينما الاستراتيجية تختار مسارا واحدا وتعمل على تحقيقه.

## ▪ لماذا نستشرف المستقبل؟

ببساطة أنت بين خيارين لا ثالث لهما إما أن تصنع مستقبلك بنفسك، أو يصنعه لك الأخرون وفقا لمصالحهم، وإما أن يكون لك رؤية وخطة تعمل في ضوئها وتنفذها، وإما أن تكون منفذا لخطط الأخرين، كما أنه ولا شك أن من أهم سمات هذا العصر الذي نعيش فيه، أنه يموج بالتغيرات المتلاحقة في شتى المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتكنولوجية والعلمية ، فضلا عن بروز ظواهر العولمة، والمواطنة العالمية، والرقمنة والخضرنة، والكوكبية، والمجتمع الذي لن يملك بوصلته التي تحدد مسارات مستقبله فسوف يصبح إما رهينة للصدف أو تتحكم فيه قوى خارجية توجه بما يخدم مصالحها لا مصالحه بل وتهدد وجوده من الأساس .

واستشراف المستقبل يفيد في بيان المستقبلات المتعددة والخيارات الممكنة، ويرسم خرائط وسيناروهات تحقيقها، ويساعد في التقليل من حدة الأزمات والمخاطر أو منعها، والعمل بسياسة المبادأة والمبادرة والاستباقية بدلا من سياسة رد الفعل، إضافة إلى ترشيد عملية صنع القرار بتزويد قدراتنا في تحديد البدائل والمفاضلة بينها بإخضاع كل مسار مستقبلي للدراسة والفحص.

## ▪ كيف يتم استشراف مستقبل التعليم؟

يتطلب استشراف مستقبل التعليم بصورة أو بأخرى إلى التنبؤ المعتمد على عدة قدرات عقلية أهمها: التفكير، التخيل، البصيرة، الحدس، الإدراك، كما يحتاج إلى قواعد بيانات شاملة ومتكاملة، وينظر إلى الأحداث على أنها مترابطة، ومتفاعلة وليست بمعزل عن بعضها البعض، واستشراف المستقبل لا يتم بشكل عشوائي بل له مناهج وأدوات وضعها متخصصون وتطورت من أساليب تقليدية كأسلوب التنبؤ عن طريق التخمين والحدس، وأسلوب استقراء الاتجاهات، وأسلوب الاسقاطات، وأسلوب المحاكاة، وأساليب حديثة كأسلوب السلاسل الزمنية، وأسلوب الاسقاطات السكانية، وأسلوب الالعاب أو المباريات، و السيناريوهات، والنمذجة، ومنهج دلفي.

ومن أبرز الطرق المستخدمة في استشراف المستقبل (الطرق التشاركية أو التعاونية participatory methods) والتي تتيح المجال لمشاركة القوى الفاعلة أو الأطراف المتأثرة بحدث ما في عملية تصميم البحث وجمع المعلومات اللازمة له وتحليلها واستخراج توصيات بفعل اجتماعي معين بناء على نتائجها. ومن أمثلة هذه الطرق التشاركية في البحث المستقبلي طريقة الممارسة المستقبلية بالمشاركة participatory future praxis، وطريقة البحث التشاركي الموجه للفعل الاجتماعي participatory action research، وطريقة ورش عمل المستقبليات futures workshops، وطرق إجراء التجارب الاجتماعية social experiments، والبحوث المستقبلية الاثنوجرافية ethnographic futures research التي تركز على استطلاع المستقبلات الثقافية– الاجتماعية من خلال مقابلات مطولة ومفصلة ومتكررة مع مجموعة من الأفراد المشتغلين بظاهرة ما (كالبحث والتطوير التكنولوجي) أو الذين يحتمل تأثرهم بحدث ما.

ومن أبرز أساليب استشراف المُستقبل (السيناريوهات Scenarios) والتي تُمثل وصف لوضع مستقبلي ممكن أو محتمل أو مرغوب فيه، مع توضيح لملامح المسار أو المسارات التي يمكن أن تؤدى إلى هذا الوضع المستقبلي، وذلك انطلاقاً من الوضع الراهن أو من وضع ابتدائي مفترض، والأصل أن تنتهي كل الدراسات المستقبلية إلى سيناريوهات، أي إلى مسارات وصور مستقبلية بديلة. فهذا هو المنتج النهائي لكل طرق البحث المستقبلي. ويعد السيناريو الأداة التي تعطى للدراسات المستقبلية نوعاً من الوحدة المنهجية methodological unity، وذلك على الرغم من تعدد وتنوع الطرق التي تستخدم في بناء السيناريوهات.

ومن الأهمية بمكان؛ الاستفادة مما أفرزته الثورة الصناعية الرابعة من تطبيقات حول الذكاء الاصطناعي، والتي يمكنها التحليل والتنبؤ والتشخيص، حيث تساعد في تحليل البيانات على نطاق واسع، وفي دعم القرارات من خلال برمجيات تقدم حلولا من أجل اتخاذ قرار، وفي إنشاء فرضيات متعددة، وفي توقعات الحالة المستقبلية، وتزويد المحللين بالقدرة على شرح الملاحظات المعطاة وبناءً على ذلك يتم تقديم بدائل مستقبلية متعددة، بالإضافة إلي تحديد وإدارة المخاطر الناشئة من خلال تحليل الملاحظات المستمدة من البيئة الداخلية والخارجية للمنظومة التعليمية.

ومن النماذج البارزة حول استشراف المستقبل؛ ما أطلقته وزارة شؤون مجلس الوزراء والمستقبل الإماراتية، من استراتيجية تتضمن بناء نماذج مستقبلية للقطاعات الصحية والتعليمية والاجتماعية والتنموية والبيئية ومواءمة السياسات الحكومية الحالية بالإضافة لبناء قدرات وطنية في مجال استشراف المستقبل وعقد شراكات دولية وتطوير مختبرات

تخصصية وإطلاق تقارير بحثية حول مستقبل مختلف القطاعات في الدولة، مستهدفة وضع أنظمة حكومية تجعل من استشراف المستقبل جزءاً من عملية التخطيط الاستراتيجي في الجهات الحكومية وإطلاق دراسات وسيناريوهات لاستشراف مستقبل كافة القطاعات الحيوية ووضع الخطط والسياسات بناء على ذلك، وفي عام 2017، أطلقت حكومة دولة الإمارات منصة الإمارات لاستشراف المستقبل، في خطوة هادفة إلى دعم جهود نشر ثقافة الاستشراف، وتعزيز الوعي بالفكر المستقبلي وأهميته في الاستعداد للتحديات والمتغيرات المتوقعة. وتمثل المنصة مرجعا لتوثيق جهود الإمارات في استشراف المستقبل، وبناء القدرات الوطنية وترسيخ ثقافة استشراف المستقبل لديها من خلال توفير الموارد في مجال استشراف المستقبل. وسوف تدعم منصة الإمارات لاستشراف المستقبل استراتيجية الدولة للاستشراف المبكر للفرص والتحديات في كافة القطاعات الحيوية، وتحليلها ووضع الخطط الاستباقية بعيدة المدى على كافة المستويات ما يدعم تحقيق الأهداف الوطنية.

## ▪ من الذي يقوم باستشراف مستقبل التعليم؟

استشراف المستقبل ليس مسؤولية فرد أو مجموعة وإنما يشارك فيه المجتمع بأسره كل بقدر إمكاناته وقدراته وفي حدود اختصاصاته، ولكن لابد أن يتم ذلك بجهد منظم ومن اجل ذلك أنشئت المراكز والمعاهد العلمية لاستشراف المستقبل؛ فظهرت العديد من المنظمات والمعاهد العالمية التي تبنت الفكر المستقبلي وطورت أدواته ونماذجه وطبقته على مشاريع محلية وإقليمه وعالمية ومنها على سبيل المثال لا الحصر؛ اليونسكو: الترقب والاستبصار UNESCO: anticipation and Foresight، وكرسي اليونسكو في النظم الاستباقية UNESCO Chair in anticipatory Systems، والاتحاد العالمي للدراسات المستقبلية World Futures Studies Federation، ورابطة المستقبليين المحترفين Association Of Professional Futurists ، ومشروع الألفية Millennium Project، ومراكز الفكر على سبيل المثال شركة راند Think Tanks, e.g. Rand Corporation، ومعهد علوم المستقبل (نيويورك) Institute for Future (New York) Sciences ، الجمعية العالمية لدراسة المستقبل (واشنطن) International Association for the Study of the Future (Washington) ، مركز الدراسات المستقبلية (باريس) Center for Futures Studies (Paris)، بل وصل الأمر إلى حد أن قامت السويد عام ١٩٧٣ بإنشاء وزارة للمستقبل .

## ▪ وماذا بعد استشراف المستقبل؟

### يا صديقي؛ أنت تربوي أصيل

وأنا عندما أسير متجهاً نحو شاطئ التربية والتربويين، وقبل أن أُبحِرَ فيه وأغوص في أعماقه؛ يدهشني براعتهم وقدرتهم وإبداعاتهم في توجيه العالم وتحليله وتجميعه مرة أخرى من خلال أفكار ومنهجيات علمية متعددة ومتنوعة، بكل جرأة وبرؤية تتسم بالشمول والتكامل، وأحياناً تخرج هذه الأفكار والرؤى إلي النور بسعي دؤوب وموجه نحو تنفيذها بالشكل المُناسب، وأحياناً تظل سراباً عالقاً في أرفف المكتبات العلمية.

ولكي نكون أكثر إجرائية يا صديقي؛ علينا ألا نقتصر على تقديم التصورات المستقبلية المحتملة فقط، وإنما أيضاً دراسة الأدوات والوسائل التي يمكن أن تؤثر في مجرى الأحداث، تعبيراً عن "صناعة المستقبل" وليس فقط دراسته.

ومن الضروري؛ العمل على تعزيز الجهد الجماعي المشترك بين كليات التربية بالمحافظات ومديريات التربية والتعليم بها، وبين الهيئات والمراكز والجمعيات العلمية ووزارة التربية والتعليم؛ في دراسة، وتوجيه، وتوظيف الأدوات والوسائل التي يمكن أن تؤثر في مجرى الأحداث.

وما بالك يا صديقي عندما تتعدد وتتنوع اختصاصات المشاركين من أجل التكامل والشمول في استشراف المستقبل، نظراً لرحابة المجالات التربوية بين أصول التربية والإدارة والتخطيط التربوي والصحة النفسية وعلم النفس التربوي والمناهج وطرق التدريس، فلا يصلح أن نعالج أي جزء منها بمعزل عن بقية أجزاء الحياة أو المعالجة بنوع معين من المعرفة دون الأخرى.

وحيث يغلب علينا التخصص يا صديقي (الإدارة والتخطيط والدراسات المقارنة) والذي نتعلم منه مجدداً؛ إدارة الوقت/ إدارة الجدول الزمني وفق رؤية واضحة متضمنة خطوات وإجراءات محددة، فهنا نؤكد علي التحديد النسبي للمدى الزمنى في الدراسات المستقبلية، مع القدر المُناسب من الخيال والإبداع، والذي يؤكد عليه العالم الفيزيائي "ألبرت آينشتاين" أن الخيال أكثر أهمية من المعرفة، فبدون الخيال لا يمكن أن تتولد المعرفة. ويؤكد "جون ديوي" على أنه ما من تقدم علمي كبير، إلا وكان ناتج جرأة جديدة للخيال. فالخيال يُعبِّر عن القدرة على التفكير الإبداعي، والتصور المنطقي لإجراءات التطوير وربط الأشياء ببعضها، والتمييز بين المُهم والأكثر أهمية وفق رؤية شاملة ومنظومية لأولويات الإصلاح التربوي.

وعلينا التمييز بين (المُستقبل المُمكن – المستقبل المُحتمل – المستقبل الذي يُرجى حدوثه)، مع الرصد المستمر للممارسات الجيدة في تطوير نظم التعليم في إطارها العالمي، وتوجيه طريقة التفكير من تقليدي مُنغلق إلي الانفتاح والتجريب، وتكوين المنهجية العلمية، والتدريب علي أساس التفكير من مُنطلق النُظُم، وتحويل الفكر من رؤية الأجزاء إلي رؤية شاملة ومتكاملة، والاستفادة من الممارسات الجيدة بالمنظومات التعليمية الأُخرى لا يعني استنساخها، بل تطويعها لظروف البيئة المصرية، حيث لا ينبغي التوقف عند مواكبة تطور الآخرين وحسب، بل استهداف التفوق عن طريق نظرة مستقبلية مستهدفة الأفضل.

وانطلاقاً من القول المأثور: "إنَّ الحقيقة الوحيدة التي لا تقبل التغيير هي حقيقة عدم وجود أي شيء غير قابل للتغيير في هذا العالم"، فكل شيء على الأرض يتغير ويتبدل، فلا بد من وجود منهجية واضحة ومحددة لإدارة التغيير بحيث تساعد علي قبول كافة العاملين للتغييرات في بيئة عملهم وتبنيهم لها، ومعالجة التغييرات التي قد تحدث خلال تنفيذ الدراسات المستقبلية، وهنا يستخدم مصطلح إدارة التغيير لوصف عملية التنفيذ، لتصميم وتنفيذ وتقييم المبادرات الملائمة للتعامل مع المتطلبات التي تفرضها البيئة الخارجية، وتتطلب إدارة التغيير قيادته، وصياغة رؤية واضحة للتغيير والعمل علي تحقيقها، وعند إدارة جهود التغيير تظهر الحاجة لإيجاد حالة من عدم الرضا عن الوضع الحالي ورغبة جادة للانتقال لوضع مستقبلي والاحتكام إلى إستراتيجية واضحة لتحقيق تلك الرؤية.

ولا بد من الاستجابة للتغيرات البيئية والتغير المناخي والانبعاثات الكربونية وتوجهاتها المستقبلية لها عند استشراف مستقبل التعليم، فالبشرية تؤثر بشكل واضح في التدهور البيئي والانحسار السريع للتنوع البيولوجي وتغير المناخ، مما يتطلب البحث عن أنسب الحلول لمواجهة المخاطر والتصدي للتحديات، وللتعليم دوره الرئيس والفاعل في التحول المطلوب إلى مجتمعات أكثر استدامة من الناحية البيئية، بالتنسيق والتكامل والتعاون مع المبادرات الحكومة ومبادرات المجتمع المدني والقطاع الخاص، فالتعليم يُشكِّل التوجهات المستقبلية والقيم، ويساعد على تنمية وتطوير المهارات وترسيخ المفاهيم وتوجيه الأدوات التي يمكن أن تستخدم في مواجهة الممارسات غير المستدامة، والتأثير في السلوك البيئي الفردي والجماعي من خلال تأكيد قيم وممارسات التعلم مدى الحياة.

**إلى اللقاء يا صديقي العزيز**